فيصير ذلك المسكين يتكوى، ويستغيث ويتلوى، ويستجير
بالله وآياته، ويستشفع بكل ما في ارضه وسمواته، من ملك
ونبي، وصديق وولي، وذلك المليح يضحك ويتظارف،
ويتمايل ويتلاطف، وينشد لطايف الاشعار، ويتمثل بطرايف
النوادر والاخبار، وربما تحزن وبكى، وتأوه لما يفعل بذلك
من التعذيب واشتكى، وصار كبعض قضاة الاسلام، المستولي
على مال الايتام، يخطب ويبكي، وفعله في قلوب المسلمين
ينكي، ولما كانوا في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان
برفاق العجم، واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم،

شعر

قصر عليه تحية وسلام، خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه، وبانواع العذاب
والعقاب عذبوه، ثم احكموا عليه شدا وعلقوه، واستخرجوا
النفائس، واستجلوا من حسانه العرائس، واحضروا الذبايح
المطاعم والمشارب، وقضوا من التفكه والتنعم ما لهم من مارب،
وجعلوا ياكلون ويشربون، ويلهون ويطربون، واذا تحرك
في واحد منهم الخبث، او تمل واحده في سكره العبث، عمد الى
ذلك المسكين وهو في شدة النكاد، فسقاه الماء والملح وسفه
الكلس والرماد، وكان فيهم عالم متقشف، عن تناول المسكرات
متعفف،

كما قيل

عجبت من شيخي ومن زهده، وذكره النار واهوالها،
يكره ان يشرب في فضة، ويسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا ادار القدح المزعفر، احضروا السكر المكرر،
ووضعوه له في صيني الخوافق، وصبوا عليه الماء الرائق
فيسكرون هم بالاقداح القوادح، ويسكر ذلك الفاسق المحروم

من

من الروائح، ثم يتوجه الى صاحب المنزل، ويضحك عليه وهو في اشد
ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل، ثم يتمايل على صوت
المثاني والمثالث، ويتناول من تلك الماكل والمشارب ويقول
بشرى مال البخيل بحادث او وارث، وكان في عسكره كثير من النساء
يلجن معامع الهيجاء ووقايع الباساء، ويقابلن الرجال
ويقاتلن اشد القتال، ويصنعن ابلغ ما يصنع الفحول من الرجال
في النزال، من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال،
واذا كانت احداهن حاملا واخذها وهم سائرون الطلق
تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق، ونزلت عن دابتها ووضعت
حملها، ولفته وركبت دابتها واخذته ولحقت اهلها، وكان
في عسكره ناس ولدوا في السفر، وبلغوا وتزوجوا وجاءهم
اولاد ولم يسكنوا الحضر، وكان في عسكره ناس صلحاء عباد
ورعون زهاد، اجواد امجاد، لهم في الخيرات اوراد، وفي
وردهم اصدار وايراد، دابهم خلاص ماسور، او جبر
مكسور، او اطفاء حريق، او انقاذ غريق، او اصطناع
معروف، او اغاثة ملهوف، مهما امكنهم، ووصلت اليه يدهم
اما بقوة وايد، واما بنوع خديعة وكيد، واما باستيهاب
واستشفاع، او تعويض وابتياع، وكانوا سائرين معه
بالاضطرار، ودائرين معه لهذه المعاني بالاختيار،
حكى لي مولانا جمال الدين، احمد الخوارزمي احد القراء
المشهورين المجودين، وكان امام محمد سلطان في حياته
وامام مدرسته بعد وفاته، ثم خطيب بروسا وبها
ادركته المنية، سنة احدى وثلاثين وثمانمائة
رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان
اعلم مماليكه واولاد الامراء القران، فارسل اليه جده الظلوم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1